

التفكير في مخلوقات الله تعالى (دراسة قرآنية)

Thinking over in the creations of Allah. A Quranic based Study

نصر من الله الأفغانيⁱ

Abstract

The Holy Quran regards it a symbol of wisdom and a form of worship. From the life history of the Holy Prophet it is evident that He used to think all the time. This importance of thinking in the creations of Allah has been explained in this article.

Key words: *Thinking ,Observation ,creation*

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد:

فإن التفكير في مخلوقات الله تعالى من أجل أعمال القلوب وأعظمها، وهو مفتاح الهداية والأنوار ومبدأ الإرشاد والإبصار ومصدر العلوم والمعارف، وقد شرع الله تعالى لأعضاء الإنسان عبادات يتعبّد الله تعالى بها، وعبادة العقل هو التفكير في مخلوقات الله تعالى، والتدبّر في آيات الله، ويعتبر من أعظم الأعمال؛ لأنه يوقف الإنسان أمام حقيقة بديعة وهي عظمة الحقّ سبحانه وتعالى، والنظرة السليمة للكون يجب أن لا تتوقف عند ظواهر الأشياء، بل يجب أن تحملنا من الظاهر المشهود إلى الباطن المحجوب، ومن معرفة المخلوق إلى معرفة الخالق الذي أنشأ هذا النظام العجيب، فلا بدّ من البصيرة مع البصر.

والتفكير من أفضل ما تنفق فيه الأنفاس و تبذل فيه الأعمار و تشغل فيه العقول سواء كان ذلك في التفكير بآيات الله عز و جل و عجائب صنعه و الانتقال منها إلى تعلق القلب و الهمة به دون شيء من مخلوقاته أو كان ذلك بالنظر في أحوال

ⁱ الباحث علي الدكتوراة، قسم الدراسات الإسلامية، جامعة بشاور

النفس كما سيأتي أو في غير ذلك من الأمور النافعة التي ينبغي للعبد أن يتبصر بها، و أن يتفكر فيها، فالتفكير هو أصل الخير والشر، وقد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة، و أثنى على المتفكرين، مما يدل على أهمية التفكير، حتى صار إحدى شعب الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا به، وحدثنا عن التفكير لا يخرج عن إطار القرآن الكريم في ضوء آياته وألفاظه، وسنلخص ذلك في العناصر التالية:

- أولاً: مفهوم التفكير
ثانياً: ووروده في القرآن الكريم
ثالثاً: نظائر التفكير في القرآن الكريم
رابعاً: الأمر بالتفكير والحث عليه
خامساً: أهداف التفكير
سادساً: حدود التفكير وضوابطه
سابعاً: مجالات التفكير
ثامناً: عوائق التفكير
تاسعاً: ثمرات التفكير
عاشراً: الخاتمة

أولاً: مفهوم التفكير

قال ابن فارس⁽¹⁾:

فكر (الفاء والكاف والراء): تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر إذا رد قلبه معتبراً، ورجل فكّير: كثير الفكر².

وفي لسان العرب:

الفكر (بالفتح) والفكر (بالكسر): إعمال الخاطر في الشيء، ... والتفكر: التأمل³.

واصطلاحاً

عرف التفكير بعدة تعريفات نختار منها:

قال شيخ الإسلام الهروي⁴ تلمس البصيرة لاستدراك البغية⁵.
وقال الإمام الغزالي⁶ هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة. ثم وضح هذا التعريف بمثال فقال: مثاله: أن يعرف أن الأبقى أولى بالإيثار، ثم يعرف أن الآخرة أبقى، فيحصل له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهو: أن الآخرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمعرفتين السابقتين⁷.

وقال الإمام ابن القيم⁸:

هو التماس الغايات من مبادئها⁹ وقال بعضهم هو ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علماً أو ظناً¹⁰. وقال الإمام الجرجاني¹¹ هو تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب¹².

هذه، وثمة تعريفات أخرى كثيرة، وخلاصة الجميع أن التفكير نشاط عقلي يهدف إلى التوصل إلى نتيجة ما، أو حل لمشكلة، ونحن عندما نقصد التفكير كعبادة قلبية مستلزمة للإيمان وشعبة من شعبه، نعني به التفكير الموصل إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة، وتعظيمه حق التعظيم، ومن تم طاعته في كل ما أمر ونهى.

ثانياً: وروده في القرآن الكريم

تكررت مادة (فكر) في القرآن الكريم ثماني عشرة (18) مرّة، منها ثلاث عشرة (13) مرّة في الآيات المكيّة وخمس (5) مرّات في الآيات المدنيّة، وجاءت بصيغة الماضي مرّة واحدة، وذلك في معرض الذم، في قوله تعالى:

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ¹³

أما بقية المواضع فجاءت بصيغة الفعل المضارع: فقد ورد (يتفكرون) (11) مرّة، و (تفكرون) (3) مرّات، و (يتفكروا) مرّتين، و (تفكروا) مرّة واحدة¹⁴.

وقد جاءت الدعوة إلى التفكير في القرآن الكريم صريحة ومقصودة في كثير من

آياته منها قوله تعالى:

قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاجِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنًى وَفُرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ
مِّنْ جِنَّةٍ¹⁵

وتعددت أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكير، فتكون الدعوة أحياناً من خلال التذكير بنعم الله وآلائه، فيكون التفكير والعبرة من خلال الجو الحاني من صفات الرحمة الودودة. قال تعالى:

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّجِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا
وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي
مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي

سُبُلَ رَبِّكَ ذُلًّا يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ¹⁶

وتارة ينقلب الخطاب عنيفاً مقرونا في بعض الأحيان بالتهديد والوعيد، وهذه هي الآيات الموجهة لذوي القلوب القاسية الكافرة التي تحتاج لمثل هذا الأسلوب الصارم. وكثير من هذه الآيات يبدأ بالسؤال الاستنكاري:

أَوَلَمْ يَرَوْا أَفَلَا يَنْظُرُونَ كَقَوْلِهِ: (أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأًا نَّخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْفِطُ عَلَيْهِمْ كَيْسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ¹⁷).

وفي المقابل نجد طائفة ثالثة من الآيات يأتي الحُضُّ فيها في صورة الثناء الودود على أولي الأبواب، الذين لا يرون في الوجود شيئاً إلا وكان لهم فيه عبرة وتذكرة بالله ونعمه التي لا تحصى. فهؤلاء يذكرون الله تعالى في كل حالة من أحوالهم النفسية وفي كل وضع من أوضاعهم الجسمية:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ¹⁸.

كذلك يلفت القرآن الكريم النظر إلى تدبر آيات الله في الكون باستجاشة الناحية الجمالية الفطرية في الإنسان. ففي الآيات التاليات من سورة فاطر يلفت القرآن الكريم النظر بطريقة تمز المشاعر، لجمال الألوان والأصباغ المختلفة الظلال في الأرض وما فيها من جمادات ونباتات وحيوانات وبشر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ¹⁹.

والقرآن الكريم يحضُّ الإنسان على التفكّر في نفسه، ويعتبر جهله بها إهمالاً كبيراً ونسياناً لواحد من أعظم آيات الله في الكون، فإذا كان الإسلام يبحث على التفكير في السماء والبحار والجبال والأنهار.... فما بالك بتفكير الإنسان في خلق الإنسان...؟ الإنسان الذي أسجد الله له ملائكته وسخر له ما في السموات والأرض²⁰.

ويهدف القرآن الكريم إلى أن يصل الإنسان من خلال تفكيره إلى أحكام صائبة مبنية على استدلال صحيح، ومن هنا فهو يعيب على المشركين الذين لم يقُدِّهِمْ تفكيرهم إلى الصواب،²¹ يقول تعالى في حق أحد زعماء المشركين وهو الوليد بن المغيرة²²

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ²³.

ونقل الإمام ابن كثير²⁴ أن المشركين لما اجتماعوا في دار الندوة⁽²⁵⁾ ليجتمعوا رأيهم على قولي قول ونه فيه، قبل أن يقدم علي هم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه، فقال قائلون: شاعر، وقال آخرون: ساحر، وقال آخرون: كاهن، وقال آخرون: مجنون، كما قال تعالى:

انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا²⁶

كل هذا الوليدي فكر فيما يقول هفيه، ففكر وقدر، ونظر وعبس وبسر، فقال:

إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ²⁷

ثالثاً: نظائر التفكير في القرآن الكريم

ومن الكلمات التي ذكرت في القرآن الكريم مرادفة للتفكير هي:

1. **التعقل:** ويدل على إعمال العقل، وقد كثر ورود مادتها في القرآن الكريم، منها قوله

تعالى:

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ²⁸ وقوله: وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ²⁹ وقوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ³⁰.

2. **التفقه:** وهو العلم بالشيء والفهم له، وورد في القرآن الكريم كثيراً منها قوله:

انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ³¹ وقوله: هُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ³².

3. **التدبر:** وهو عبارة عن النظر في عواقب الأمور وأدبارها، وقد ورد في أربع آيات،

كلها تدعو إلى تدبر القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ³³ وقوله: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا³⁴ وقوله: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ

مَنْ عِنْدَ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا³⁵ وقوله: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ³⁶

4. التبصّر: وهو التأمل والتعرّف: ومن الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة قوله سبحانه وتعالى:

أَفَلَا يُبْصِرُونَ³⁷ وقوله: تَبَصَّرَهُ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ³⁸

5. النظر: ويراد به التأمل والفحص، قال تعالى:

أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ³⁹ وقال: قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ⁴⁰ وقال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ⁴¹

وقد ذكر القرآن الكريم عدة كلمات أخرى أيضاً قد ترد بمعنى التفكير كالتذكّر والاعتبار والعلم وغيرها.⁴²

رابعاً: الأمر بالتفكير والحث عليه

ذكرنا فيما مضى بعضاً من أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكّر، ومن هذه الأساليب أسلوب الأمر، فقد أمر الله تعالى عباده بالتفكّر والنظر في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى:

قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُنْتَفِئِينَ⁴³

فهذه الآية تأمر العباد بالتفكّر، كما قال الإمام الرازي⁴⁴

فالتفكير أيضاً صار مأموراً به وموعظاً⁴⁵. يأمر الله تعالى خاتم رسله في هذه الآية: أن يعظ قومه ويذكرهم ويرغبهم في خصلة واحدة لا يريد منهم الآن غيرها، حتى يعرفوا حقيقة نبوته: أصدق هي أم كذب؟ وحقيقة شخصيته: أجنون هو يهذي أم رسول هو يهدي؟ هذه الخصلة الواحدة المطلوبة مكوّنة من خطوتين: الأولى: أن يقوموا لله مثنى وفردى، والقومة تعني النهضة والعزيمة، والخطوة الثانية: أن يتفكروا: أي يعملوا عقولهم ولا يجمدوها وقال تعالى أيضاً: قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ⁴⁶

ومن أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكّر استخدام الاستفهام الإنكاري في عدة مواضع من آياته، كما قال تعالى:

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ⁴⁷ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ⁴⁸ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ⁴⁹ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وغيرها من الآيات.
قال الإمام محمد الطاهر ابن عاشور⁵⁰ في قوله:

أَفَلَا تَعْقِلُونَ (استفهام عن انتفاء تعقله ماستفهاما مستعملا في الإنكار والتوبيخ
نزولاً منزلة من ان تمتعقلهف أنكر عليه كذلك ووجه المشابهة بين حالهم وحال من
لا يعقلون أن مني ستمره التغفل عن فسوهم الاتفكر في
صلاحهم مصاحبة شئ ينذكرانه، قارب أن يكون من في أعنها تعقل⁵¹.
ومن حث القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكر أيضاً الثناء على المتفكرين
والتنويه والإشادة بهم، كما في قوله تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ⁵² وقوله: إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَبْصَارِ⁵³ وقوله: وَمَا يَعْزُبُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ⁵⁴ وغيرها من الآيات.

إذاً، لقد حث الله سبحانه وتعالى الإنسان على التفكير في الكون، والنظر في
الظواهر الكونية المختلفة وتأمل بديع صنعه ومحكم نظامه، كما حثه على تحصيل العلم
ومعرفة سنن الله وقوانينه في جميع ميادين العلوم المختلفة، وقد وجدنا هذه الدعوة إلى
الملاحظة والتفكير والبحث والتحصيل العلمي في أكثر من موضع في القرآن الكريم وهي
دعوة صريحة إلى النظر والملاحظة والتفكير والبحث العلمي.

وقد بين القرآن أهمية التفكير في حياة الإنسان ، ورفع منقيمة الإنسان الذي
يستخدم عقله وتفكيره، كما حطّ من شأن من لا يستخدم عقله وتفكيره بأنه جعله أدنى
درجة من الحيوان، قال تعالى:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ⁵⁵

قال الإمام الغزالي:

كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبّر والاعتبار والتّظنر والافتكار، ولا يخفى
أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة
المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته
ومصدره⁵⁶.

خامساً: أهداف التفكير

عندما يأمر القرآن الكريم الإنسان بالتفكير والتدبر، فإنه يطلب منه أن لا يكون تفكيره عشوائياً، بل يجب أن يكون تفكيراً منتجاً يوصله إلى نتائج وأهداف نبيلة، وقد بين أبرز ما يجب أن يصل إليه الإنسان من خلال عملية التفكير وما منحه الله تعالى من العقل واصطفاه به، ومن هذه الأهداف ما يلي:

أولاً: الاعتراف بوجود الخالق لهذا الكون، وأنه لم يخلق عبثاً، بل خلق لمقصد هام. قال تعالى:

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَتْنَا مَا خَلَقْتُمْ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ⁵⁷

ثانياً: أن وراء هذه الحياة حياة أخرى، ولا بد أن يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته: قال تعالى:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ
خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁵⁸ وقال: وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ
الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁵⁹

ثالثاً: العمل بمقتضى الإيمان: ويدل على ذلك كثير من الآيات، منها قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِإِعَادِ⁶⁰ وقال تعالى: وَقَالُوا
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا
لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ⁶¹.

رابعاً: الكشف عن السنن الإلهية في بناء الكون بهدف تسخيره للإنسان للقيام بواجب الاستخلاف. قال تعالى:

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ⁶²

خامساً: الكشف عن سنن الله تعالى في حياة البشر والمجتمعات وقيام الحضارات، قال الله تعالى:

قَدْ خَلَقْنَا مِن قَبْلِكُمْ سُنَنًا فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكْدِبِينَ⁶³

سادساً: التعرف على طبيعة النفس الإنسانية وأطوارها، وخصائصها، وما خلق الإنسان لها من حكمة: قال تعالى:

فَلْيَظُنِّرِ الْإِنْسَانَ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ
إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ⁶⁴ وقال: وَمَنْ
نُعَمِّرُهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ⁶⁵.

سابعاً: التثبت من صدق الأفكار والمبادئ والمعتقدات، قال تعالى:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁶⁶ وقال: قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ⁶⁷

هذه أبرز الأهداف التي يجب أن يتوصل إليها الإنسان من خلال عملية التفكير، وهي حقائق لا بد وأن يدركها المتفكر إن كان صادقاً في تفكيره، سالكاً للمنهج الصحيح للتفكير⁶⁸.

سادساً: حدود التفكير وضوابطه

يدعو الإسلام إلى التفكير فيما يتسع له العقل البشري، مع توضيح الحدود التي يجب ألا يتجاوزها، وذلك لقصوره عن إدراك جميع الأمور؛ لأنه مخلوق كباقي المخلوقات، ولا بد من أن تكون له حدود لا يتجاوزها كما أن لباقي الحواس حدوداً لا يمكنها تجاوزها، فيجب على الإنسان ألا يصل به التفكير إلى حد الخروج عما لا يحيط بعلمه أو تصور الأمور التي لا يمكن تصورها؛ لأنها لا تخضع لمقاييسنا كالقبر وما فيه، و الملائ الأعلى و ما يخصه، بل الخوض فيها يؤدي إلى الوسوسة والشك.

ونجد القرآن الكريم قد حرم التفكير في مجال معلوم محدود، ألا وهو مجال المغيبات، حيث لا دخل للعقل بهذا العالم، فالعقل له عالم يتجول فيه كيف يشاء، ألا وهو عالم الشهادة، أما عالم الغيب فلا علم له به إلا عن طريق ما جاء به الخبر الصادق، قال تعالى:

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولاً⁶⁹ وقال سبحانه وتعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ
مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ

وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ⁷⁰ ومن هنا لا يحق لأي إنسان -كائناً من كان- المسيس بعقائد الإسلام، والتي تتعلق بالغيب؛ لأنها منزلة من عالم الغيوب، وقد قامت الأدلة العقلية على إثباتها.

وفي جانب التشريع فإنه لا يجوز لأحد أن يعمل عقله في مقابل النص، وعليه أن يستسلم للنص، وأن يعتبر ما حسنه الشارع حسناً، وما قبحه قبيحاً، إذ العقل لا يصدر التشريعات، قال تعالى:

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ⁷¹ وقال تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ⁷² ويجب أن يكون التعقل والتفكير في النصوص الشرعية لاستخراج الأحكام منها واستنباط المسائل، وملاحقة المستجدات العصرية وربطها بالتشريع الإسلامي، وفتح المجال للعقل البشري عن حكم التشريع⁷³.

فالعقل في الإسلام له حدوده التي لا يتخطاها، حيث إنه لو خرج عن تلك الحدود لسقط في مهاو من الجهل والخرافات التي لا يعلم حدودها إلا الله تعالى، كما أن له ضوابط يجب أن يراعيها، ومن ضوابط التفكير أن لا يكون في أمر لا يحقق نفعاً، بل يجب أن يكون التفكير منتجاً -كما أسلفنا-، ولذا ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين أنهم يعرضون عن اللغو، قال تعالى:

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا⁷⁴ وقال: وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ⁷⁵ وقال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ⁷⁶ وغيرها من الآيات، والمراد من اللغو: مالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال⁷⁷. وقد روى أبو هريرة أن النبي قال: (احرص على ما ينفعك)⁷⁸. فهو أمر نبوي بالاشتغال بما هو نافع للمرء، وهو عام في الأمور العملية والعلمية والفكرية⁷⁹.

قال الأستاذ سيد قطب في تفسير قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» .. لغو القول، ولغو الفعل، ولغو الاهتمام والشعور. إن للقلب المؤمن ما يشغله عن اللغو واللهو والهدر.. له ما يشغله من ذكر الله، وتصور جلاله وتدبر آياته في الأنفس والآفاق. وكل مشهد من مشاهد

الكون يستغرق اللب، ويشغل الفكر، ويحرك الوجدان.. وله ما يشغله من تكاليف العقيدة: تكاليفها في تطهير القلب، وتركيب النفس وتنقية الضمير. وتكاليفها في السلوك، ومحاولة الثبات على المرتقى العالي الذي يتطلبه الإيمان. وتكاليفها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيانة حياة الجماعة من الفساد والانحراف. وتكاليفها في الجهاد لحمايتها ونصرتها وعزتها، والسهر عليها من كيد الأعداء..

وهي تكاليف لا تنتهي، ولا يغفل عنها المؤمن، ولا يعفي نفسه منها، وهي مفروضة عليه فرض عين أو فرض كفاية. وفيها الكفاية لاستغراق الجهد البشري والعمر البشري⁸⁰.

ويدخل في ذلك الانشغال بأمور وأسئلة لم تقع بعد، وقد منع الله تعالى

المؤمنين من الانشغال بمثلها في قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن نَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَمَّا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ خَلِيمٌ⁸¹ وذلك لما له من العواقب الوخيمة والنتائج الغير المرضية. وقد تسبب ذلك في إهلاك الأمم السابقة كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة -ع- عن النبي - قال: دعوني ما تركتكم، إنما أهلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم⁸².

إذاً، فالإسلام على ما سبق لميحرم العقل من عملية الإبداع، ولكنه أرشده إلى

الإبداع المقتن، له حدود وضوابط، وليس الإبداع المطلق الذي يصولويجول في كل مكان بلا ضابط⁸³.

سابعاً: مجالات التفكير

وجه القرآن الكريم العقل إلى التفكير والتدبر والتأمل في الميادين المختلفة، فليس محظوراً على العقل أن يمارس نشاطه فيما هو من اختصاصه، وإلا فقد عطلت هذه النعمة الربانية التي جعل الله من خصائصها التفكير، واستنباط الدروس والعبر، والوصول إلى ما ينتفع به الإنسان في دنياه وآخرته، أمّا المجالات التي يدعو القرآن الكريم العقل للتفكير فيها فكثيرة يمكن إجمالها في أربع مجالات التالية:

المجال الأول: السنن الاجتماعية

قال تعالى:

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ فلم تذكر القصص في القرآن الكريم إلا للعبرة، وأخذ الدروس منها، لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ⁸⁴ والسنن الاجتماعية في القرآن الكريم كثيرة ومنها سنة التغيير، قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ⁸⁵

المجال الثاني: آيات الله الكونية

وقد أكثر القرآن الكريم من بيان آيات الله الكونية، وأمر بالتفكير فيها وحث ورغب في تدبرها، وقد سبق أن ذكرنا جملة يسيرة من تلك الآيات التي تدل على ذلك، منها:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ⁸⁶

ويجب على الإنسان أن يفكر في هذا الكون الفسيح ونظامه البديع، لينظر إلى السماء والأرض والجبال والبحار والأنهار وما خلق الله تعالى من شيء: أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ⁸⁷ ففيها من عجائب صنع الله تعالى، وغرائب خلقه، ولينظر الإنسان في عالم الحيوانات والنباتات والجمادات والطيور والحشرات، فالعالم كله مليء بالعبر.

المجال الثالث: الآيات الأنفسية

دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التفكير في نفسه التي بين جنبيه في آيات كثيرة جداً، لِمَا أودع الله في داخل هذا المخلوق من عجائب قدرته، قال الله تعالى: وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ⁸⁸، فعليه أن يفكر في نشأته وخلقته: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ⁸⁹ وأن يفكر في جسمه وطريقة حياته من أكل وشرب وما إلى ذلك.

المجال الرابع: التفكير في آيات الله التنزيلية

يوجه القرآن الكريم العقل البشري إلى التدبر في آياته التي أنزلها على محمد ليقف على أحكام دينه الحنيف، ويأخذها من معينه الصافي ويستخرج منها الأحكام والحكم، ومقاصد الدين الإسلامي، قال تعالى:

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ⁹⁰ فلاشغال بالقرآن الكريم فهماً وتدبراً من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وأنفعها للمرء في دنياه وأخراه، فإن الله يفتح بهذا الكتاب خزائن الدنيا والآخرة⁹¹.

ثامناً: عوائق التفكير

أودع الله تعالى في طبيعة النفس البشرية ملكة التفكير والتعقل، لكنّها قد تصاب بالإعاققة لسبب أو آخر، فيقعّد الإنسان من عملية التفكير، وهذه الأسباب ليست مفروضة على الإنسان، بل كثيراً ما يكون الإنسان سبباً بنفسه لإيجاد هذه الأسباب، وقد ذكرها القرآن الكريم، كي يعالجها الإنسان ويتخلّص منها، وهي:

الأوهام والخرافات

وهذه الأوهام متعددة، فقد تكون في المعتقدات وقد تكون في الأفكار، وقد ردّ الله تعالى على ذلك كلها، فقال تعالى فيما حكاها عن إبراهيم وقومه:

فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْبَیِّنِ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ⁹² وقال فيما يدّعيه الكهنة والعرفان من الأباطيل والخرافات، وما يروجونه من أكاذيب الكلام: هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ يُلْفُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ فَمَا لَوْ كُنُّوا يَعْقِلُونَ لَمَا كُنُّوا يَهْتَمُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَمَا تَعْمَلُونَ فَمَا لَوْ كُنُّوا يَعْقِلُونَ لَمَا كُنُّوا يَهْتَمُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَمَا تَعْمَلُونَ فَمَا لَوْ كُنُّوا يَعْقِلُونَ لَمَا كُنُّوا يَهْتَمُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

اتباع الظن الكاذب

قال تعالى:

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا⁹³ وقال تعالى: وَمَا لَهُمْ

بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا فَأَعْرِضْ عَنْ
مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الحَيَاةَ الدُّنْيَا⁹⁴ وقد أنكر القرآن الكريم على
الكفار في ظنهم السوء برهم بأنه لا يعلم كثيراً مما يعملون، فقال: (وَذَلِكُمْ
ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَأُكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ⁹⁵ ولذا أمر الله تعالى
المؤمنين بالاجتناب عن الظنون فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ
إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ⁹⁶

اضطراب الحالة العقلية

وذلك قد تكون بتناول المسكرات، فإنها تفسد العقل وتمنعها من التفكير

السليم، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ
الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ فِي الخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُنْتَهُونَ⁹⁷ وقد تكون اضطراب الحالة العقلية بالتعصب والعناد، فلا يفكر المرء
عندئذ في أحقية الأمر لكنه يقدم ما يتعصب من أجله، قال تعالى: وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَنَاةُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَغْدِلُوا اعدلوا هو أقرب للتقوى⁹⁸

اتباع الهوى

ومن أسباب إعاقة الفكر والعقل اتباع الهوى، فمن اتبع هواه فقد عطل عقله،

قال تعالى:

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الهُمَّ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ
عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاءً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ⁹⁹ أي: ترك متابعة
الهدى إلى مطاوعة الهوى، فكأنه يعبد، فلا يبالي بالمواعظ، ولا يتفكر بالآيات،
ولا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار¹⁰⁰.

الكبر وغمط الحق

من عوائق الفكر الكبر وغمط الحق، قال تعالى:

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِعَرَبٍ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كِبَرٌ مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ
آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ¹⁰¹ فإذا طبع بالقلب منع

من التفكير والتدبر؛ لأنه محل التفكير. وقال تعالى: (وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُثَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ¹⁰² فالكبر من أكبر عوائق التفكير؛ لأنه يمنع صاحبه من قبول الحق والخضوع له.

التقليد الأعمى

التقليد الأعمى يلغي عمل العقل، وهذا يتناقض مع ما أمر به القرآن الكريم من إعمال العقل والتفكير، وقد أنكر الله تعالى على المشركين بتقليدهم الذي كان سبباً في ضلالتهم وشركهم، فقال:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ¹⁰³ ويدخل في هذا التقليد جميع العقائد والعبادات والعادات والأعراف الباطلة التي يتوارثها الناس كابراً عن كابر من غير استعمال العقل والفكر في صحتها أو بطلانها... وإن الإسلام ليأبى على المرء أن يحيل أعذاره على آباءه وأجداده، كما يأبى له أن تحال عليه الذنوب والخطايا من أولئك الآباء والأجداد، وإنه لينعى على الذين يستمعون الخطاب أن يعفوا أنفسهم من مؤنة العقل؛ لأنهم ورثوا من آباءهم وأجدادهم عقيدة لا عقل فيها¹⁰⁴.

الاستبداد السياسي والفكري

لعلّ من أكبر عوائق التفكير في العصر الحديث هو الاستبداد السياسي والفكري، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا العائق، وذلك أن فرعون الطاغية قد استفاد من هذا السلاح ضدّ رعيته حين قال:

مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ¹⁰⁵ ففرض الأمر على الآخرين يعطل أهم إمكانات الإنسان وهي إمكانات التفكير والإكتشاف.

والإسلام لا يقبل من المسلم أن يلغي عقله ليجري على سنة آباءه وأجداده، ولا يقبل منه أن يلغي عقله خنوعاً لمن يسخره باسم الدين في غير ما يرضى العقل والدين، ولا يقبل منه أن يلغي عقله رهبة من بطش الأقوياء وطغيان الأشداء، ولا يكلفه

في أمر من هذه الأمور شططاً لا يقدر عليه إذ القرآن الكريم يكرر في غير موضع أن الله لا يكلف نفساً ما لا طاقة لها به، ولا يطلب من خلقه غير ما يستطيعون..¹⁰⁶.

الصحة السيئة

صحة الأشرار ومجالستهم وفق طريقتهم يمنع الإنسان من التفكر السليم، والاهتداء إلى الطريق المستقيم، قال تعالى:

وَيَوْمَ يَعْزُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي¹⁰⁷ وَقَالَ: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَتَّبِعُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا¹⁰⁸ فالجلوس مع أهل السوء يؤدي إلى حلل في التفكير، ويكون عقبة قوية في طريقه.

هذه، وثمة عوائق أخرى للتفكير أشار إليها القرآن الكريم في آياته، كالمداينة والغزو الفكري، وسيطرة أصحاب الفكر المنحرف وغيرها، تركناها خشية التطويل.

تاسعاً: ثمرات التفكير وفوائده

لقد وضحت كثير من الآيات التي ذكرناها أهمية التفكير، وأنه من أعظم نعم الله التي منحها الإنسان، لما له من الفوائد العظيمة، والثمرات الطيبة، وخلاصة تلك الأمور نكتبها فيما يلي:

1. التفكير سبب لكرامة الإنسان: قال تعالى:

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا¹⁰⁹ ومن أعظم ما كرم الله تعالى به بني آدم القوّة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء، وهي القوّة التي لا تساويها القوى النباتية والحيوانية ألبتة¹¹⁰.

2. التفكير دليل على كمال العقل: قال تعالى:

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ¹¹¹

3. التفكير من صفات المؤمنين: قال تعالى:

إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ¹¹² وهم المؤمنون.

4. التفكير سبب لأخذ العبر من قصص السابقين: قال تعالى:

فَأَقْصِبْ قَصَصَ الْقَصَصِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ¹¹³

5. المتفكرون هم الذين يفهمون أمثال القرآن: قال تعالى:

وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لِّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ¹¹⁴ وقال: وَمَا يَعْهَلُهَا إِلَّا
الْعَالِمُونَ¹¹⁵

6. المتفكرون هم الذين يستفيدون من المواعظ: قال تعالى:

قُلْ إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَتُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا¹¹⁶

هذه بعض ثمرات التفكير في خلق الله تعالى، وأسأل الله عز وجل أن يجعلنا من

المتفكرين الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض وما خلق الله من شيء.

عاشرا: الخاتمة

هذا ما يسر الله تعالى لي تحريره من كتابة بحث موجز عن مفهوم التفكير

والتعقل كما يصورهما القرآن الكريم في آياته، وأحمد الله العلي القدير الذي وفقني لكتابة

هذه الصفحات، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وبعد:

فإنه من خلال المعاشة مع آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن التفكير

والتعقل، وبعد التدبر والتمعن في فيها تبين لي بعض الأمور، أوجزها فيما يلي:

● إن التفكير نشاط عقلي يهدف إلى التوصل إلى نتيجة ما، أو حل مشكلة ما،

ونعني به التفكير الموصل إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة، وهي في الحقيقة عبادة قلبية، بل

هي أفضل العبادات.

● تكررت مادة (ف ك ر) ثماني عشرة (18) مرة في القرآن الكريم، وذلك بصيغ

مختلفة، في مواضع متفرقة وأساليب متنوعة.

● لقد ذكر القرآن الكريم نظائر أخرى لكلمة التفكير منها: التعقل، التفقه، التدبر،

التبصر والنظر وغيرها من الكلمات.

● لقد حثَّ الإسلام على التفكير والتدبر، وأمر بهما في غير ما موضع من القرآن الكريم، وغيَّر الأساليب كالتنويه بالمتفكرين والإشادة بهم، وكالاستفهام الإنكاري في مثل: (أفلا تتفكرون) وغيره.

● إن القرآن الكريم أشار أيضاً إلى أهداف التفكير، فالتفكير ليس أمراً عبثاً، بل له أهداف سامية منها: الوصول إلى الاعتراف بوجود الله تعالى، وأن هناك حياة بعد هذه الحياة الدنيا وغير ذلك من الأهداف.

● إن الإسلام لم يطلق للإنسان عنان التفكير والتعقل، بل قيده بقيود وحدده بمحدود، وضبطه بضوابط يجب مراعاتها؛ ذلك لأن العقل البشري قاصر عن إدراك جميع الأمور.

● ذكر القرآن الكريم أيضاً مجالات التفكير التي هي: السنن الاجتماعية، وآيات الله الكونية والأنفسية والتنزيلية، فينبغي للمسلم أن يتفكر في إطار هذه المجالات ولا يتعدها.

● للتفكير عوائق يجب الاجتناب عنها وهي: الأوهام والخرافات، واتباع الظن الكاذب، واتباع الهوى، والتكبر، والتقليد الأعمى والاستبداد السياسي وغيرها.

● وأخيراً، إن للتفكير في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ثمرات يانعة ونتائج طيبة ينبغي للمسلم اجتنائها؛ كي يفوز في دنياه وأخراه. أسأل الله العلي القدير أن يوفقنا للتفكير في خلقه. آمين

الهوامش

1 هو أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسن، من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة (329هـ)، وأصله من قزوين وأقام مدة في همدان ثم انتقل إلى الري، فتوفي فيها سنة (395هـ)، وإليها نسبته، ومن تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل. انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين [الزركلي، خير الدين، الأعلام 1: 193، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السادسة عشر، 2005.... عمر رضا كحالة، ومعجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية 2: 40، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، 1376هـ-1957م

2 أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة 4: 446، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ 1979م.

3 أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، لسان العرب 5: 65، دار صادر بيروت-لبنان، الطبعة الأولى بدون تاريخ

4 هو أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الانصاري الهروي، شيخ خراسان في عصره. من كبار الخطابة. ومن ذرية أبي أيوب الانصاري. كان بارعاً في اللغة، حافظ للحديث، عارفاً بالتاريخ والانساب. مظهر السنة داعياً إليها. امتحن وأوذي من كتبه: ذمال كلام وأهله ورياض النفوس ومن إزال سائرين وسيرة الإمام أحمد بن حنبل في مجلد. توفي سنة 481هـ. [الأعلام 4: 122]

5 شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي، منازل السائرين إلى الحق عز شأنه: 8، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية 1386هـ 1966م

6 أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي نسبة إلى الغزل، زين الدين وحجة الإسلام متكلم، فقيه، أصولي، صوفي. صاحب إحياء علوم الدين توفي سنة 505هـ

7 الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين: 1444، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1425هـ 2004م

8 هو الإمام العلامة أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر المحدث، الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، ولد في سنة 691هـ، و لازم شيخ الإسلام ابن تيمية، و أخذ عنه العلم وله تصانيف كثيرة في كل أنواع العلوم. و كان زاهداً، عابداً ورعاً، توفي سنة 751هـ. [البداية والنهاية لابن كثير 14: 270]

9 الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 1: 441، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثانية: 1393هـ 1973م

10 العلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 182، مادة: (فكر)، مكتبة لبنان بيروت 1987م.

(11) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: فقيه شافعي، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له (المنهاج - خ) في شعب الإيمان، ثلاثة أجزاء، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره. [الأعلام 2: 235]

12 الشريف علي بن محمد الجرجاني الحنفي، التعريفات: 46، دار المنار للطباعة والنشر، بدون طبع وتاريخ

13 سورة المدثر: 19

14 محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 525، المكتبة الإسلامية استانبول-تركيا، 1982م

- 15 سورة سبأ: 46
- 16 سورة النحل: 65-69
- 17 سورة سبأ: 9
- 18 سورة آل عمران: 190-191
- 19 سورة فاطر: 27-28
- 20 الدكتور مالك بدرى، التفكر من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية: 63-66، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، الطبعة الرابعة 1415 هـ 1995م
- 21 عبد الوهاب محمود إبراهيم حنايشه، التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم: 15، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة النجاح الوطنية بنابلس- فلسطين سنة 2009م
- 22 الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم، أبو عبد شمس: من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها. يقال له " العدل " لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو " البيت " جميعها، والوليد يكسوه وحده. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاده وقاوم دعوته. قال ابن الأثير: وهو الذي جمع قريشا وقال: " إن الناس يأتونكم أيام الحج فيسألونكم عن محمد، فتختلف أقوالكم فيه، فيقول هذا: كاهن، ويقول هذا: شاعر، ويقول هذا: مجنون، وليس يشبه واحدا مما يقولون، ولكن أصلح ما قيل فيه " ساحر " لأنه يفرق بين المرء وأخيه والزوج وزوجته! " وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد ابن الوليد. [الأعلام 8: 122]
- 23 سورة المدثر: 18-25
- 24 هو أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الشافعي المعروف بابن كثير، محدث، مؤرخ، مفسر، فقيه. ولد بجندل، من مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير ابن كثير، مختصر علوم الحديث لابن صلاح، البداية والنهاية في التاريخ، وغيرها من الكتب. توفي 774هـ [عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين 2: 283-284]
- 25 هي دار مكة أحدثها قصي بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي أول دار بنته قريش، وكانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبدالدار بن قصي، ثم لم تزل في أيدي بنيه حتى صارت إلى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فجعلها دار الإمارة.
- [معجم البلدان 2: 423]
- 26 سورة الإسراء: 48
- 27 سورة المدثر: 24-25
- 28 سورة العنكبوت: 43

- 29 سورة الملك: 10
30 سورة النحل: 67
31 سورة الأنعام: 65
32 سورة الأعراف: 179
33 سورة ص: 29
34 سورة محمد: 24
35 سورة النساء: 82
36 سورة المؤمنون: 68
37 سورة السجدة: 27
38 سورة ق: 8
39 سورة الأعراف: 185
40 سورة يونس: 101
41 سورة الطارق: 5
42 التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم: 17-21
43 سورة سبأ: 46
44 هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين، الملقب بفخر الدين الرازي، المعروف بابن الخطيب، كان تولدته سنة أربع وأربعين، وقيل ثلاث وأربعين وخمس مائة، بالري، وأخذ عن والده، والكم الالسماني، من مؤلفاته: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، والمطالب العالية، وكتاب البيان والبرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، وكتاب إرشاد النظائر إلى لطائف الأسرار، توفي سنة ست وست مائة بمدينة هراة.
[وفيات الأعيان، 4/248-252.... وسير أعلام النبلاء: 16: 54-55]
- 45 مفاتيح الغيب 13: 25: 232
46 سورة يونس: 101
47 سورة الغاشية: 17
48 سورة سبأ: 9
49 سورة الأنعام: 50
50 هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكي بنوشخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. عيّن (عام 1932م) شيخ الاسلام مالكيًا، وكان من أعضاء المجعي ناليري بنفدمشق والقاهرة. ومن مصنفاته: الادبالعصري، ومقاصد الشريعة الاسلامية وأصول النظام الاجتماعي في الاسلام والتحرير والتنوير في تفسير القرآن، وغيرها. توفي سنة 1393 هـ 1973م. [الأعلام 6: 174]

- 51 العلامة محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير 1: 477، الدار التونسية للنشر، تونس،
1984م
- 52 سورة آل عمران: 190-191
- 53 سورة الرعد: 19
- 54 سورة العنكبوت: 43
- 55 سورة الأنفال: 22
- 56 إحياء علوم الدين: 1453
- 57 سورة آل عمران: 191
- 58 سورة يوسف: 109
- 59 سورة الأنعام: 32
- 60 سورة الحشر: 18
- 61 سورة الملك: 10-11
- 62 سورة الجاثية: 13
- 63 سورة آل عمران: 137
- 64 سورة الطارق: 5-10
- 65 سورة يس: 68
- 66 سورة آل عمران: 65
- 67 سورة الأنبياء: 66-67
- 68 التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم : 25-27
- 69 سورة الإسراء: 36
- 70 سورة الأنعام: 59
- 71 سورة الأعراف: 32
- 72 سورة النحل: 116
- 73 التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم : 39-40
- 74 سورة الفرقان: 72
- 75 سورة القصص: 55
- 76 سورة المؤمنون: 1-3
- 77 الإمام ابن كثير، تفسير القرآن العظيم 3: 318.....وتيسير الكريم الرحمن: 547

78 رواه مسلم في صحيحه، كتاب القدر (46)، باب الإيمان بالقدر والإذعان له (8) رقم الحديث: (6774)

79 التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم : 40

80 أستاذ سيد قطب، في ظلال القرآن 4: 2454، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر 1412 هـ 1992م

81 سورة المائدة: 101

82 رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (96)، باب الاقتداء بسنن رسول الله (2) رقم الحديث: 7288

83 التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم: 40-42

84 سورة يوسف: 111

85 سورة الرعد: 11

86 سورة آل عمران: 190-191

87 سورة الأعراف: 185

88 سورة الذاريات: 21

89 سورة الطارق: 5

90 سورة ص: 29

91 إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، مجالات التفكير: 1463-1474.....الدكتور يوسف

القرضاوي، والعقل والعلم في القرآن الكريم: 42-51.....عبد الوهاب محمود إبراهيم، والتفكير وتنميته

في ضوء القرآن الكريم: 43-54

92 سورة الصافات: 91-96

93 سورة يونس: 36

94 سورة النجم: 28-29

95 سورة فصلت: 23

96 سورة الحجرات: 12

97 سورة المائدة: 90-91

98 سورة المائدة: 8

99 سورة الجاثية: 23

100 الإمام البيضاوي مع حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل 4: 229،

مكتبة الحقيقة استانبول تركيا، 1411 هـ 1991م

- 101 سورة غافر: 35
102 سورة الجاثية: 7-9
103 سورة المائدة: 104
104 عباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية: 17، نخصة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السادسة 2007م
105 سورة غافر: 29
106 التفكير فريضة إسلامية للعقاد: 15
107 سورة الفرقان: 27-29
108 سورة النساء: 140
109 سورة الإسراء: 70
110 الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب 11: 11-12، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية 2004م 1425هـ
111 سورة آل عمران: 190-191
112 سورة الرعد: 3
113 سورة الأعراف: 176
114 سورة الحشر: 21
115 سورة العنكبوت: 43
116 سورة سبأ: 46